همزة الاستفهام في القرآن الكريم

الجزء الأول

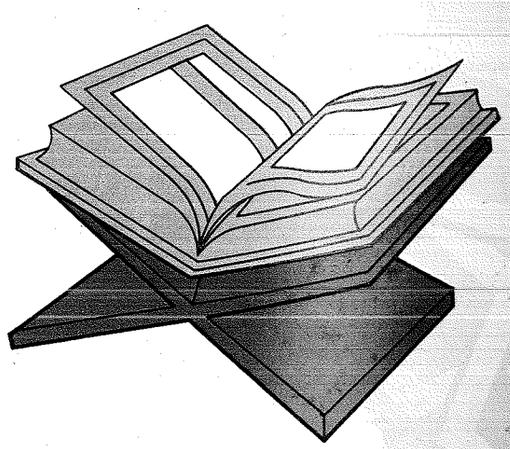

عبد الرؤوف سعيد عبد الغني البدي
عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة سابقًا

مطابع
وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية
الشرقية - الرحيبة - ص.ب ٢٥٤٢ تلفون ٨٨٨١٨١ / ٨٨٨١٨٢

همزة الاستفهام في القرآن الكريم
عبد الرؤوف سعيد عبد الغني البدي

İSLÂM ARAŞTIR
297.1
LEB.H
46688
MERKEZİ KÜTÜPH

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâmî Araştırmalar Merkezi

İsl
Den
Tasn

همزة الاستفهام في القرآن الكريم

٢١١ر٦١

عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي

همزة الاستفهام في القرآن الكريم/عبد الرؤوف سعيد عبد الغني اللبدي ــ عمان ــ الاردن

١٩٩٢

(ــ ٣٥٢ ــ) ص

ر. أ (١٩٩٢/٤/٢١١)

١ ــ القرآن الكريم ــ الفاظ أ ــ العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

وأصلى وأسلم على سيد المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد فهذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارىء الكريم :

١ ــ أول كتاب ــ فيما أعلم ــ يدرس همزات الاستفهام في القرآن الكريم دراسة تطبيق واستقراء واستقصاء وشمول.

٢ ــ يدرس كل همزة على انفراد ضمن الآية التي وردت فيها دراسة بلاغية.

٣ ــ لايكتفى بعرض الآية التي وردت فيها همزة الاستفهام، بل يعرض معها الآيات التي تتصل بها في المعنى لتتم الرؤية وتتضح الصورة.

٤ ــ يشرح الآيات التي وردت فيها همزات الاستفهام والآيات التي تتصل بها شرحا أدبيا يتضمن المعانى التي تنص عليها الآيات ومعانى أخرى توحي بها ويتطلبها السياق والمقام.

٥ ــ يشرح المعانى البلاغية لهمزات الاستفهام ويخرجها من أكمامها الاصطلاحية، فيبين معنى الإنكار وما المراد بالتقرير، ومم كان التعجيب والتعجب، وعلام كان التوبيخ والتقريع، ومم كانت السخرية والاستهزاء، وهكذا بقية المعانى.

٦ ــ يعرب الكلمات التي وردت في صيغ الاستفهام حيث يكون الإعراب مساعدا على فهم المعنى، فالإعراب تحليل للكلمات وبيان لموقع كل كلمة من أختها وعلاقتها بها، ولاشك أن ذلك يعطيك عمقا في الفهم ودقة في الإدراك.

٧ ــ يعتمد على كتب المفسرين المذكورة في مراجع هذا الكتاب، يعتمد عليها في شرح الآيات وفي بيان المعانى البلاغية لهمزات الاستفهام.

٨ ــ يتجافى عن الخلافات بين المفسرين في معاني الآيات، ويختار منها ماتفق عليه المفسرون.

ويتجنب الخلافات في المعاني البلاغية ويختار منها مااتفق عليه معظمهم، أو ما رأى هذا الكتاب أنه الأحق الأصوب.

٩ ــ يجتهد هذا الكتاب ويبدى رأيه في المعاني البلاغية لهمزات الاستفهام التي لم يذكرها المفسرون.

١٠ ــ لم يذيل هذا الكتاب أسافل صفحاته بحواش تشير إلى مراجع آراء العلماء التي تذكر في أثناء البحث، لم يفعل ذلك اكتفاء بذكر صاحب الرأي وتفسيره، فآيات القرآن الكريم قد عُيّنت أرقامها في هذا الكتاب وسميّت سورها، فمن السهل بعد ذلك الرجوع إلى الرأي في كل تفسير دون حاجة إلى بيان الصفحة والجزء وذكر الطابع والناشر.

١١ ــ يحرص هذا الكتاب على أن يريك النهج الذي نهجه والدرب الذي سار عليه فيقدم إليك صورة مما جاء فيه، وإليك هذه الصورة:

« أما الفعل الثاني والعشرون من الافعال الماضية التي دخلت عليها همزة الاستفهام في القرآن الكريم فهو (عجز)، وقد ورد ذلك في موضع واحد، في قوله تعالى: **« واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قرّبا قرباناً فتُقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنّك قال إنما يتقبل الله من المتقين (٢٧) لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ماأنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (٢٨) إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (٢٩) فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (٣٠) فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين (٣١) »** الآيات: (٢٧ ــ ٣١) من سورة المائدة.

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالي يأمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتلو بالحق وبالصدق على بني إسرائيل خبر ابني آدم هابيل وقابيل إذ قرّب كل منهما قربانا إلى الله تعالى، وكان هابيل صاحب ماشية يعمل الصالحات، فعمد إلى خير ماشيته فتقرب به إلى الله تعالى يبتغي مرضاته، فتقبل الله منه.

أما قابيل فكان صاحب زرع يعمل السيئات فعمد إلى أردأ زرعه فتقرب به إلى الله تعالى خداعا ورياء، فلم يتقبل الله منه.

فغضب قابيل أشد الغضب على أخيه هابيل، وحسده أن يتقبل الله قربانه، فقال ينذر ويتوعد: لأقتلنك ياهابيل شر قتلة!!

قال هابيل في هدوء ورفق وسكينة: وماذنبى فتقتلنى؟! أنا لم أسىء إليك في شيء، كل مافعلته أني تقربت إلى الله تعالى بأفضل ماعندى أبتغى به وجهه، فتقبل الله تعالى منى.

أما أنت فلم تحسن اختيار ماتتقرب به إلى الله، لقد تقربت إليه تعالى بأردأ ماعندك، فلم يتقبل منك، إنما يتقبل الله من الذين يخشونه ويقومون بطاعته وكانوا متقين.

ولئن مددت إلىّ يدك لتقتلني فلن أدفعك ولن أدافع عن نفسي، ومأأنا بمادٍّ إليك يدي لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين، وإن الله لايحب المعتدين.

وإذا كان القتل لابد منه، فإما أن تقتلنى وإما أن أقتلك، فأنا أختار أن تقتلنى على أن أقتلك لتحمل إثم قتلى وإثم معاصيك من قبلُ فتكون أنت من أصحاب النار، وتلك النار جزاء الظالمين.

وتسكن سورة غضب قابيل حين سمع أخاه هابيل يقول له قولا ليّنا، ويقف منه موقفا مسالما، ويترك باب القتل أمامه مفتوحا دون مدافع.

وينام النهار، وتتلفع الأرض بليل ضاع فيه القمر وعميت فيه النجوم، وتأوى نفس قابيل إلى قابيل تهمس وتوسوس وتزيّن له قتل أخيه، وبعد لأي وعناء وأخذ وعطاء طوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله.

وتشرق شمس الصباح لتذيع أسرار الليل، وينهض قابيل من مضجعه ليرى ماذا صنعت يداه.

ماالذي تريد أن تراه ياقابيل؟! هاهي ذي جثة أخيك غارقة في الدماء مهشمة الرأس والأعضاء، أرأيت أبشع منها صورة وأقبح منها منظرا؟! وهل شممت أخبث منها ريحا وأنتن منها رائحة؟! أوطبت نفسا بعد هذا وهدأت بالا ياقابيل؟!

لقد هزّت تلك الجثة المشوّهة البائسة البشعة حنانا كان نائما في صدر قابيل، واستصرخت أخوّة حانية كانت نائية عنه فأصبح من النادمين.

لقد أسقط في يد قابيل، ووقف أمام جثة أخيه باكيامشدوها يصيح وينوح ولايدري ماذا يصنع:

واحسرتاه! واحسرتاه! ماذا أصنع بجثتك ياهابيل؟! لقد كنت من قبل هذا ملء السمع وملء البصر، وهاأنت ذا جثة هامدة خرساء لاتسمع النداء!! ماذا أصنع ياهابيل؟! أوأدعك هكذا لقى فوق الأرض وتحت السماء؟! ياإلهي، هب لي من لدنك هدى ورشدا!.

لقد كان هابيل أول قتيل فوق الأرض، وماكان قابيل يدري سنة الله في الموتى، فبعث الله غرابين يقتتلان على مرأى منه ومسمع، ويقتل أحدهما الآخر ويحفر له في الأرض حفرة ويلقيه فيها ويحثو عليه التراب.

ويشهد قابيل هذا المشهد فيصيح: ياويلتا! أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب الحقير فأواري سوءة أخي؟!

ويصنع قابيل ماصنع الغراب القاتل، ويوارى سوءة أخيه في جوف الأرض، ولكنه لم يستطع أن يوارى حسرة تتلظى في صدره، وندما ينهش قلبه، وجزاء عند الله لايزال ينتظر.

وقد أفاد هذا الاستفهام: **(أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي)** أفاد الإنكار والتوبيخ والتعجب والتحسر:

فقد أنكر قابيل على نفسه ونعى عليها وأنّبها أن لاتبلغ مبلغ هذا الغراب في حسن التصرف وسداد الرأي.

وتعجب من عجزه عن أن يهتدي إلى مااهتدى إليه هذا الطائر المزدرى وهذا الغراب الحقير.

وتحسر من جراء هذا العجز الفاضح المهين.

وقد ذهب الزمخشري في كشافه إلى أن (فأوارى) منصوب على أنه جواب الاستفهام، وقد ردّ هذا الرأي أبو حيان في تفسيره البحر المحيط، فبعد أن ذكر رأي الزمخشري هذا قال: «وهذا خطأ فاحش لأن الفاء الواقعة جوابا للاستفهام علامتها أن ينعقد من الجملة الاستفهامية والجواب شرط

وجزاء مع صحة المعنى، ولو قلت هنا: إن أعجز أن أكون مثل هذا الغراب أوار سوءة أخي لم يصح المعنى، لأن المواراة لاتترتب على عجزه عن كونه مثل هذا الغراب» اهـ بتصرف.

ثم بيّن أبو حيان أن النصب في الفعل المضارع (فأواري) لأنه معطوف على الفعل المضارع المنصوب (أن أكون). فالفاء الداخلة على الفعل المضارع في (فأواري) ليست فاء السببية المسبوقة بالاستفهام، وانما هي لمجرد العطف.

قارئي الكريم:

على هذا الطريق سرت في دراسة همزة الاستفهام الداخلة على الفعل الماضي، وهذا هو النهج الذي نهجته في هذا الكتاب الذي بين يديك.

وإذا كان المؤلفون قديما وحديثا قد درجوا على أن يذكروا في مقدمات كتبهم الأسباب الداعية إلى تأليف تلك الكتب ونشرها على الناس، فإن الحديث عن كتاب الله تعالى وبيان شيء من خصائص أساليبه ومزايا آياته واجب على كل من استطاع إليه سبيلا.

ولقد جاء الاستفهام في القرآن الكريم أسلوبا ممتازا في كثرة وروده ووفرة استعماله ودواعيه وتنوع معانيه ومراميه، فقد ورد في حوالي ألف ومئتين وستين موضعا، وإذا كانت آيات القرآن الكريم قد بلغت حوالى ستة آلاف ومئتين وست وثلاثين آية ــ على خلاف بين العلماء في هذا العدد ــ تبيّن لك مبلغ هذه الكثرة ومدى انتشار الاستفهام في كتاب الله العظيم.

وهذه الكثرة في استعمال أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم تدل على قوة هذا الأسلوب ومبلغ تأثيره ووفرة مقتضياته ودواعيه.

ومما يشهد لتلك القوة وذلك التأثير ووفرة هاتيك الدواعي والمقتضيات أن القصائد التي تتضمن السؤال والحوار من أمتع القصائد، وأن الأدب المسرحي الذي يقوم على الأسئلة والحوار من أروع أنواع الأدب، وأن طريقة الحوار في التدريس التي تعتمد على الأسئلة من أنجع طرق التعليم، وأن الخطيب الذي لايثير عواطف مستمعيه من حين إلى حين بتساؤلاته خطيب أعجم، وأن الصحفي الذي لايتقن إلقاء الأسئلة لايأتيك بالأخبار، وأن الأطباء